

## المحاضرة الثامنة

### دراسة في كتب الصحاح

#### أولاً: صحيح البخاري

بعد حديثنا في الحصة السابقة عن المسانيد وبالضبط مسند الإمام احمد نعيش في هذا الدرس مع صنف آخر من كتب الحديث النبوي، ونعني به كتب الجوامع ؛ واخص بالذكر هنا الجامع الصحيح للإمام البخاري . وقبل أن نعرف به وبمنهج البخاري فيه ، لابد من وقفة تأمل مع هذا العلم الجهدز التحرير، ولو بترجمة مختصرة نقف فيها عند أهم المحطات التي ميزت حياة هذا العالم والحافظ الكبير الذي هو الإمام البخاري، لنذكر قيمة هذا الكتاب الذي تركه الإمام البخاري؛ وفي نفس الوقت لنذكر مكانة هذا العالم عند المحدثين وعند جميع الأمة.

#### 1- التعريف بالإمام البخاري رحمه الله :

هو شيخ المحدثين بغير منازع و إمام الصناعة ومقدم أهل السنة والجماعة حسب تعبير السبكي في طبقات الشافعية الكبرى؛ وهو حامل هذا اللواء اعني لواء الحديث و الصناعة الحديثية ، أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، ولد رحمه الله تعالى في شوال سنة (194هـ) وبالضبط يوم الجمعة بعد الصلاة .ثم بدا يطلب العلم وهو صبي، واشتغل بحفظ الحديث وهو في الكتاب ولم تتجاوز سنه عشر سنين؛ وكان يختلف إلى محدثي بلده ويرد على بعضهم خطأه، فلما بلغ (ست عشرة سنة) حفظ الكثير من الكتب ومن بينها كتب ابن المبارك ووكيع، وعرف فقه أصحاب الرأي. ثم خرج مع أمه وأخيه احمد إلى مكة فلما حج رجع أخوه بأمه وتخلف هو في طلب الحديث، والبخاري رحمه الله تعالى نشأ يتيم الأب شأنه شان كثير من المحدثين الكبار كمالك وأحمد بن حنبل ثم الإمام البخاري ثالثاً، فعاش هؤلاء الثلاثة في كنف ورعاية الأم التي أحسنت رعايتهم.

\* **شيوخه:** اخذ البخاري رحمه الله العلم عن شيوخ كثر قد ذكرهم من ترجم للبخاري فمنهم من صنّفهم على حروف المعجم كالحافظ المزي في تهذيب الكمال وحاول استقصاءهم، وذكرهم الذهبي في السير على البلدان، وذكرهم أيضا على الطبقات؛ وقد تبعه الحافظ ابن حجر في ذكرهم على الطبقات .وقد اثر عنه رحمه الله تعالى انه قال: " كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس منهم إلا صاحب حديث"<sup>1</sup>، ولذلك رحل إلى كثير من المراكز العلمية في العالم الإسلامي

<sup>1</sup> - : سير أعلام النبلاء: 81/10

واخذ عن شيوخ عدة من بينهم:مكي بن إبراهيم وهو من عوال شيوخه ،وكذلك الإمام احمد و علي بن المديني وإسحاق بن راهويه،وخلق كثير .

\* **تلاميذه رحمه الله** :فقد روى عنه خلق كثير منهم: الإمام مسلم والإمام الترمذي وغير ذلك من التلاميذ الذين رووا عنه؛ ففيل أكثر من تسعين ألف الذي روى عنه .

\* **منزلة الإمام البخاري العلمية**:اشتهر الإمام البخاري رحمه الله في عصره بالحفظ والعلم والذكاء؛ وكان واسع العلم ،غزير الاطلاع، وقد أثر عنه انه قال :لا اعلم شيئا يحتاج إلا وهو في الكتاب والسنة .

\* **ثناء العلماء عليه**: أتى عليه أئمة الإسلام وحفاظ الحديث ثناء عطرا واعترفوا بعلمه وفضله؛ وخاصة في الرجال وعلل الحديث،ومن هؤلاء: إسحاق بن راهويه الذي كان يقول: " اكتبوا عن هذا الشاب - يعني يقصد البخاري رحمه الله- فلو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج الناس إليه لمعرفة الحديث وفقهه"<sup>2</sup>.

وقال الإمام احمد بن حنبل:" ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل"<sup>3</sup>.

وقال تلميذه مسلم:" دعني حتى اقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في عله". وقال له أيضا :**"بغضك إلا حاسدك وأشهد انه ليس في الدنيا مثلك"**<sup>4</sup>.  
وقال الترمذي رحمه الله:" لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد اعلم من محمد بن إسماعيل"<sup>5</sup>.

وكان علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقهنا وفقه خراسان.إلى غير ذلك من الأقوال.

\* **مصنفاته رحمه الله** : ترك الإمام البخاري رحمه الله مصنفات كثيرة نذكر البعض

منها:

-الجامع الصحيح ، ثم كتاب الأدب المفرد :جمع فيه ما يتعلق بالأدب ؛ثم كتاب التاريخ الكبير،وهذا في تاريخ الرواة يعني في الجرح والتعديل، ثم التاريخ الأوسط و الصغير، ثم الرد على الجهمية، وخلق أفعال العباد،ثم رفع اليدين في الصلاة ،و كتاب القراءة خلف الإمام، ثم بر الوالدين وكتاب الضعفاء،و قضايا الصحابة والتابعين؛ وغير ذلك من الكتب النافعة.

<sup>2</sup> - تهذيب الأسماء واللغات،للنووي:69/1

<sup>3</sup> - تهذيب الكمال للمزي: 456/24.

<sup>4</sup> - تاريخ بغداد وذيوله: 103/13.

<sup>5</sup> - تاريخ بغداد:340/2.

\* وفاته: توفي رحمه الله في ليلة السبت ليلة عيد الفطر عند صلاة العشاء ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة (256) ، بخرتتك .وعاش رحمه الله (62) إلا ثلاثة عشر يوما .

### ثانيا: التعريف بالجامع الصحيح:

كانت الكتب قبله- يعني قبل البخاري- غير مشتملة على الحديث الصحيح المجرد ؛ حتى جاء البخاري فألف كتابا في الصحيح المجرد وسمى الكتاب ب:"الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" كما ذكر ابن الصلاح في مقدمته<sup>6</sup>، وذكر الحافظ ابن حجر في: " هدي الساري وهو مقدمة فتح الباري"<sup>7</sup> أن اسمه:" الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"؛ ويقال له الجامع الصحيح. ويقال اختصارا: صحيح البخاري وهو المشهور بين الناس؛ ولكي نعرف هذا الكتاب ونعرف منهج البخاري فيه؛ فلا بد من معرفة هذه المصطلحات الذي يتكون منها هذا العنوان فعندنا الجامع؛ المسند؛ الصحيح المختصر.

### 1- شرح مصطلحات العنوان

- أ- الجامع: في اصطلاح المحدثين: كل كتاب حديثي يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد ولأحكام والرقاق وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام وما يتعلق بالتفسير والتاريخ والسير والفتن والمناقب والمثالب، وغير ذلك . فالجامع هو الكتاب الذي اشتمل على جميع أبواب الدين الثمانية.
- ب- المسند: يعني تخريج الأحاديث التي اتصل إسنادها عن طريق الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ج- الصحيح: يعني أن البخاري رحمه الله التزم أن يخرج في هذا الكتاب إلا الصحيح .
- د- المختصر: يعني لم يستوعب الصحيح ولا التزم ذلك، وإنما أخرج فيه بعض الصحيح، حيث قال رحمه الله: " ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت الكثير مخافة الطول " .

### 2- الباعث على تأليف الجامع الصحيح:

- ذكر الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه فتح الباري أسبابا ثلاثة دعت الإمام البخاري رحمه الله إلى تأليف كتابه الجامع الصحيح:
- رغبة الإمام البخاري في تمييز الحديث الصحيح عن غيره يعني عن الضعيف.

<sup>6</sup> - علوم الحديث لابن الصلاح " : ص 26

<sup>7</sup> - ابن حجر في " المقدمة " : 1 / 5

- تلبية لرغبة شيخه إسحاق بن راهويه ؛ حيث قال: "لو جمعت كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى" ،فقال البخاري: "فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح" .  
- قال البخاري "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: "أنت تدب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح".

وقد مكث رحمه الله في تأليفه مدة ست عشرة سنة في الحرمين الشريفين -يعني الحرم المكي والحرم المدني- فكان يكتب الأحاديث في الحرم المكي، ويضع تراجم الأبواب في الحرم المدني . قال البخاري رحمه الله: "صنفت الصحيح في ست عشر سنة وجعلته حجة بيني وبين الله تعالى".

3- عدد أحاديث الكتاب: قال ابن الصلاح رحمه الله سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة؛ وتعقبه ابن حجر فقال: جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات سبعة آلاف وثلاث مائة وسبع وتسعون حديثاً.

#### ثالثاً: منهج الإمام البخاري في صحيحه:

إن المنهج الذي اتبعه الإمام البخاري في صحيحه، يتجلى في النقاط التالية:  
- يكرر الأحاديث ويقطعها: إما لفائدة إسنادية أو متنية؛ وإما أن يكون الحديث عن صحابي فيعيده عن صحابي آخر، وإما أن يسوقه بالعنعنة ثم يعيده بالتصريح بالسماع.  
- التزامه رحمه الله باستنباط الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة: فاستخرج رحمه الله بفهمه الثاقب من المتون معاني كثيرة فرقها في أبوابه بحسب المناسبة واعتنى فيها بآيات الأحكام وغير ذلك ؛ومن ثم أخلى كثيراً من الأبواب من ذكر إسناد الحديث واقتصر على قوله فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يريده معلقاً لقصد الاحتجاج لما ترجم له وأشار للحديث لكونه معلوماً أو سبق قريباً.

- تراجم الإمام البخاري في صححه: وصف الحافظ ابن حجر تراجم صحيح البخاري بكونها حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، لهذا اشتهر عن جمع من الفضلاء قولهم: "فقه البخاري في تراجمه".

ويمكن تلخيص أنواع تراجم البخاري كما يلي:

- التراجم الظاهرة: وهي التي تطابق الأحاديث التي تخرج تحتها مطابقة واضحة جليئة، دون حاجة للفكر والنظر.

- التراجم الاستنباطية: وهي التي تدرك مطابقتها لمضمون الباب بوجه من البحث والتفكير القريب أو البعيد.

- التراجم المرسله: وهي التي اكتفي فيها بلفظ (باب)، ولم يعنون بشيء يدل على المضمون بل ترك ذلك العنوان

#### رابعاً: مكانة الصحيح وعناية العلماء به

أ- مكانة الصحيح: قال الإمام النووي رحمه الله: " اتفق العلماء - رحمهم الله تعالى - على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلفتها الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجمهور وأهل الإتيان والحدق والغوص على أسرار الحديث" <sup>8</sup>.

#### ب- عناية العلماء بصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

الجهود المبذولة حول صحيح البخاري كثيرة، يمكن الإشارة إلى بعضها:  
- أعلام الحديث (السنن) للإمام الخطابي (388)، وهو من الشروح الأولى لصحيح البخاري رحمه الله تعالى .

#### - شرح صحيح البخاري لابن بطال، ت: 449هـ.

\_ الكواكب الدراري لمحمد بن يوسف الكرمانى، ت: 786هـ.

\_ فتح الباري للحافظ ابن رجب الحنبلى، ت: 795هـ.

\_ فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلانى (852)؛ وهو اجل شروح البخاري

\_ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (855)، وكان معاصراً لابن

حجر .

\_ إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري للقسطلاني المتوفى سنة 923هـ.

وقد ذكر فؤاد سيزكين في كتابه تاريخ التراث العربي 56 شرحاً للجامع الصحيح بعضها مخطوط وبعضها قد طبع عدة مرات كالكتب السابقة.

ونجد كذلك هناك من اهتم بتراجمه كابن المنير السكندري في كتابه المتواري على تراجم أبواب البخاري وكذلك ترجمان التراجم لابن رشيد ألسبتي رحمه الله تعالى، وهناك من اهتم برجاله كالتعديل والتجريح لمن اخرج له البخاري في الصحيح للباقي، ثم أسماء من روى عنهم البخاري في الصحيح لابن عدي الجرحاني، وغير ذلك من المؤلفات التي اهتمت بصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى .

<sup>8</sup> - شرح مسلم للنووي: 14/1.